أملا الحصول على حماية المانيا للمستوطن الاستعماري المنشود في فلسطين . ففي رسالة مؤرخة في منتصف اذار (مارس) ١٨٩٩ ، وموجهة من رئيس المنظمة الصهيونية العالمية الى وزير الدولة الالماني وناظر الخارجية ، فون بولو ، نجد هرتزل يصور له ابعاد المغامرة الاستعمارية التي ينوي الصهيونيون الاقدام عليها بالشكل الاتي :

« لكن فلسطين اصبحت ايضا مشكلة تتعلق بالسير والمواصلات ، لانها تؤلف اقصر طريق الى الهند — لا بل اقصر طريق جنوبي الى آسيا كلها، بما أن الطريق الشمالي الجديد هو في حوزة روسيا دون سواها . وينبغي مد خط حديدي بين شواطيء البحر المتوسط والخليج الفارسي ، علما بأن اليهود وحدهم يملكون القدرة على تنفيذ ذلك . فقد صار الناس الان يعرفون ما كان مجهولا قبل ٣٠ عاما خلت لدى دوائر الدولة في اوروبا : اهمية الطريق القصير من طراز قناة السويس . ان حل « المسألة الفلسطينية » — ولا اقول « المسألة اليهودية » بعد اليوم — يأتي بمثابة تكملة للاحداث الجارية مؤخرا في آسيا » . (٣)

ب — **البراءة العثمانية** : وحين التفت هرتزل الى السلطان العثماني ، راح يقطع له الوعود بتقديم خدمات ثمينة لقاء امتلاك اليهود لفلسطين . فالحركة الصهيونية سوف تأخذ على عاتقها مسألة تدبير شؤون الامبراطورية وتسديد الديون المترتبة عليها بالاضافة الى التأثير في الرأي العام العالمي لصالح السلطان . وفي بادرة ذكية حاول هرتزل المزايدة على شتى العروض الاوروبية بأن رسم أمام ناظري السلطان صورة مثلى للمستوطن الأستعماري الصهيوني في فلسطين . فهو يخاطبه على النحو التالي :

« أن ما تحتاجه هذه البلاد (اي : فلسطين) هو الجهد والمبادرة الصناعية لدى شعبنا (اليهودي) . فالاوروبيون الاخرون يأتون الى بلادكم بقصد الاثراء على جناح السرعة والهرب بالثروات التي جمعوها او غنموها . ومما لا ريب فيه ان الربح الشريف والنظيف الذي يجنيه المرء من مشروعاته لا يضير ابدا ، غير انه يترتب على المنتفعين البقاء داخل البلد الذي جمعوا ثرواتهم فوق اراضيه » . (٤)

ج — **امبراطورية انجلترا الاستعمارية** : اما عندما يقوم هرتزل بتحويل الاتجاه الصهيوني صوب بريطانيا ، فأنه يدرك على جناح السرعة بأن « الانجليز كانوا اول من ادرك ضرورة التوسع الاستعماري في العالم الحديث . لذا نجد راية بريطانيا العظمى خفاقة عبر البحار . وبناء عليه ، اعتقد بأن الفكرة الصهيونية ، وهي فكرة استعمارية ، يجب ان تحظى بتفهم سهل وسريع من جانب انجلترا »(٥).

لقد تفوه هرتزل بتلك الكلمات اثناء خطاب القاه في لندن عام ١٨٩٩ . وبعد مضي سنة واحدة ، خلال انعقاد المؤتمر الصهيوني الرابع في لندن (١٩٠٠) ، راح هرتزل يشدد على اهمية الاستيطان اليهودي بفلسطين **كمحطة للمدنية** ، وعلى مساهمة الصهيونية المنشودة في حل ما يدعوه بـ « المشكلة الاسيوية » . فهو يقول :

« نحن هم الذين على استعداد بدمائنا وعنصرنا المادي لتأمين هذا المركز للمدنية . وينبغي لكل طالب سياسة ان يدرك بسرعة البرق الخاطف بأن الصهيونية تقدم فرصة ثمينة امام ايجاد مأخذ سهل لآسيا »(٦).

ثم يتابع مؤسس الصهيونية السياسية الحديثة — وخالق ذلك « التجريد » الذي تحول الى واقع عيني عند اقامة الدولة اليهودية ، في مدى خمسين عاما — مجرى تفكيره على الوتيرة نفسها فيغدق عبارات الثناء على آماله وتوقعاته البريطانية . ويعزف على نغم مدهش بما ينطوي عليه من رؤيا تنبؤية ، فيقول :